الدلائل
في حكم موالاة أهل الإشراك

تأليف الإمام
سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

إعلم رحمك الله:

أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم، خوفاً منهم، ومداراة لهم، ومداهنة لـدفع شـرهم، فإنـه كـافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويبغضهم، ويحب الإسلام والمسلمين.

هذا إذا لم يقع منـه إلا ذلـك، فكيـف إذا كـان في دار منعـة، واستدعي بهم، ودخـل في طـاعتهم، وأظهـر الموافقـة على دينهم الباطل، وأعانهم عليـه بالنصـرة والمـال، ووالاهم وقطـع المـوالاة بينه وبين المسلمين، وصار من جنود القباب والشـرك وأهلهـا بعـد مـا كـان من جنـود الإخلاص والتوحيـد وأهلـه؟! فـإن هـذا لا يشـك مسلم أنه كافر من أشد الناس عـداوة للـه تعـالى ورسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم، ولا يسـتثنى من ذلـك إلا المكـره، وهـو الـذي يستولي عليه المشـركون فيقولـون لـه: اكفـر، او افعـل كـذا، وإلا فعلنا بك وقتلناك، أو يأخذونه فيعذبونه حـتى يـوافقهم، فيجـوز لـه الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان.

وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً، أنه يكفـر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الـدنيا؟! وأنـا أذكـر بعض الأدلة على ذلك بعون الله وتأييده.

الـدليل الأول: قولـه تعـالى: {ولن ترضـى عنـك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم}:

فـأخبر تعـالى أن اليهـود والنصـارى، وكـذلك المشـركون، لا يرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتبـع ملتهم، ويشـهد أنهم على حق، ثم قال تعالى: {قل إنَّ هدى اللـه هـو الهـدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالـك من اللـه من ولي ولا نصير}، وفي الآية الأخرى: {إنك إذاً لمن الظالمين}، فإذا كان النبي صلى الله عليـه وسـلم، لـو يـوافقهم على دينهم ظـاهراً من غــير عقيــدة القلب، لكن خوفـاً من شــرهم ومداهنــة، كــان من الظالمين، فكيف بمن أظهـر لعبَّاد القبـور والقبـاب أنهم على حـق وهدى مستقيم؟! فإنهم لا يرضون إلا بذلك.

الدليل الثاني: قولـه تبـارك وتعـالى: {ولا يزالـون يقاتلونكم حـتى يـردوكم عن دينكم إن اسـتطاعوا ومن يرتـدد منكم عن دينـه فيمت وهـو كـافر فاولئـك حبطت

أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}:

فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ولم يرخص في موافقتهم خوفاً على النفس والمال والحرمة، بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرَّهم أنه مرتد، فإن مات على ردته بعد أن قاتله المشركون فإن من أهل النار الخالدين فيها، فكيف بمن وافقهم من غير قتال؟! فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له، عرفت أن الذين يأتون إليهم يسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال، أنهم أولى بعدم العذر، وأنهم كفار مرتدون.

الدليل الثالث: قوله تبارك تعالى: {لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة}:

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين وإن كانوا خائفين منهم، وأخبر أن من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، أي لا يكون من أولياء الله الموعودين بالنجاة في الآخرة، إلا أن تتقوا منهم تقاة، وهو أن يكون الإنسان مقهوراً معهم لا يقدر على عداوتهم، فيظهر لهم المعاشرة والقلبُ مطمئنّ بالبغضاء والعداوة، فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر، استحبابَ الحياة الدنيا على الآخرة، والخوف من المشركين، وعدم الخوف من الله، فما جعل الله الخوف منهم عذراً، بل قال تعالى: {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين}.

الدليل الرابع: قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين}:

فأخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفاً منهم، وهذا هو الواقع، فإنهم لا يقنعون ممن وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين، وقطع اليد منهم، ثم قال: {بل الله مولاكم وهو خير الناصرين} فأخبر تعالى أن الله مولى المؤمنين وناصرهم، وهو خير الناصرين ففي ولايته وطاعته غُنية وكفاية عن طاعة الكفار، فيا حسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد ونشأوا فيه، ودانوا به زماناً، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين، وخير الناصرين، إلى ولاية القباب وأهلها، ورضوا بها بدلاً عن ولاية من بيده ملكوت كل شيء؟! بئس للظالمين بدلاً.

الدليل الخامس: قوله تعالى: {أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير}:

فأخبر تعالى أنه لا يستوي من اتبع رضوان الله، ومن اتبع ما يسخطه، ومأواه جهنم يوم القيامة.

ولا ريب أن عبادة الرحمن وحدها ونصرها، وكون الإنسان من أهلها، من رضوان الله، وأن عبادة القباب والأموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط الله، فلا يستوي عند الله من نصر توحيده ودعوته بالإخلاص وكان مع المؤمنين، ومن نصر الشرك ودعوة الأموات وكان مع المشركين.

فإن قالوا: خفنا. قيل لهم: كذبتم.

وأيضا فما جعل الله الخوف عذراً في اتباع ما يسخطه واجتناب ما يرضيه. وكثير من أهل الباطل إنما يتركون الحق خوفاً من زوال دنياهم. وإلا فيعرفون الحق ويعتقدونه، ولم يكونوا بذلك مسلمين.

الدليل السادس: قوله تعالى: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا}:

أي في أي فريق كنتم؟ أفي فريق المسلمين، أم في فريق المشركين؟ فاعتذروا عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف، فلم تعذرهم الملائكة، وقالوا لهم: {ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً}.

ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين صاروا مع المشركين، وفي فريقهم وجماعتهم. هذا مع أن الآية نزلت في أناس من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة، فلما خرج المشركون إلى بدر أكرهوهم على الخروج معهم، فخرجوا خائفين، فقتلهم المسلمون يوم بدر، فلما علموا بقتلهم تأسفوا وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله فيهم هذه الآية.

فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الإسلام فخلعوا ربقته من أعناقهم، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم، ودخلوا في طاعتهم، وآووهم ونصروهم، وخذلوا أهل التوحيد، واتبعوا غير سبيلهم، وخطؤوهم، وظهر فيهم سبهم وشتمهم وعيبهم، والاستهزاء بهم، وتسفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد، والصبر عليه، وعلى الجهاد فيه، وعاونوهم على أهل التوحيد طوعاً لا كرهاً، واختياراً لا اضطراراً؟ فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحاً بالوطن، وخوفاً من الكفار، وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين.

فإن قال قائل: هلاَّ كان الإكراه على الخروج عذراً للذين قتلوا يوم بدر؟

قيـــل: لا يكــون عـــذراً، لأنهم في أول الأمـــر لم يكونـــوا معذورين إذا قاموا مع الكفار، فلا يعذرون بعد ذلك بـالإكراه، لأنهم السبب في ذلك حيث قاموا معهم وتركوا الهجرة.

الدليل السابع: قوله تعالى: {وقد نـزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم}:

فذكر الله تعالى أنه نزل على المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات الله يكفـر بهـا، ويسـتهزأ بهـا، فلا يقعـدوا معهم حـتى يخوضوا في حديث غيره. وأن من جلس مع الكافرين بآيـات اللـه، المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم، فهو مثلهم.

ولم يفرق بين الخائف وغيره إلا المكـره، هـذا وهم في بلـد واحد في أول الإسلام، فكيـف بمن كـان في سـعة الإسـلام وعـزة بلاده، فـدعا الكـافرين بآيـات اللـه المسـتهزئين بهـا إلى بلاده، واتخـذهم أوليـاء وأصـحاباً وجلسـاء، وسـمع كفـرهم واسـتهزاءهم وأقرَّهم وطرد أهل التوحيد وأبعدهم؟

الدليل الثامن: قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتـــولهم منكم فإنـــه منهم إن اللـــه لا يهـــدي القـــوم الظالمين}:

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهـود والنصـارى أوليـاء، وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم.

وهكـذا حكم من تـولى الكفـار من المجـوس وعبَّاد الأوثـان فهو منهم، فإن جادل مجادل في أن عبادة القباب ودعاء الأمـوات مع الله ليس بشرك، وأن أهلها ليسوا بمشركين، بان أمره واتضح عناده وكفره.

ولم يفرق تبارك وتعالى بين الخائف وغيره، بل أخبر تعـالى أن الذين في قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفاً من الدوائر.

وهكـذا حـال هـؤلاء المرتـدين، خـافوا من الـدوائر، لمـا في قلوبهم من عدم الإيمان بوعد الله الصادق بالنصـر لأهـل التوحيـد، فبادروا وسارعوا إلى أهل الشرك، خوفـاً أن تصـيبهم دائـرة. قـال الله تعالى: {فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين}.

الدليل التاسع: قوله تعالى: {ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون}:

فذكر الله تعالى أن موالاة الكفار موجبة لسخط الله، والخلود في العذاب بمجردها، وإن كان الإنسان خائفاً، إلا من أكره بشرطه، فكيف إذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح، وهو معاداة التوحيد وأهله، والمعاونة على زوال دعوة الله بالاخلاص، وعلى تثبيت دعوة غيره؟!

الدليل العاشر: قوله تعالى: {ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون}:

فذكر تعالى أن موالاة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليه. ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين، ولم يفرق بين من خاف الدائرة وبين من لم يخف، وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسقون، فجرهم ذلك إلى موالاة الكفار، والردة عن الإسلام، نعوذ بالله من ذلك.

الدليل الحادي عشر: قوله تعالى: {وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون}:

وهذه الآية نزلت لما قال المشركون: تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله، فأنزل الله هذه الآية.

فإذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركاً من غير فرق بين الخائف وغيره إلا المكره، فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم، والكون معهم ونصرهم، والشهادة أنهم على حق، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والخروج عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين؟ فهؤلاء أولى بالكفر والشرك ممن وافقهم على أن الميتة حلال.

الدليل الثاني عشر: قوله تعالى: {واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين}:

وهذه الآية نزلت في عالم عابد في زمان بني إسرائيل، يقال له: بلعام، وكان يعلم الاسم الأعظم.

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: (لما نزل بهم موسى عليه السلام - يعني بالجبارين - أتاه بنو عمه وقومه فقالوا: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يردَّ عنا موسى ومن معه. قال: إني إن دعوت ذهبت

دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله مما كان عليه. فذلك قوله تعالى: {فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين})).

وقال ابن زيد: (كان هواه مع القوم) - يعني الذين حاربوا موسى وقومه -

فذكر تعالى أمر هذا المنسلخ من آيات الله، بعد أن أعطاه الله إياها، وعرفها وصار من أهلها ثم انسلخ منها، أي ترك العمل بها، وذكر في انسلاخه منها ما معناه أنه مظاهرةُ المشركين ومعاونتهم برأيه، والدعاء على موسى عليه السلام ومن معه، أن يردهم الله عن قومه، خوفاً على قومه وشفقة عليهم، مع كونه يعرف الحقَّ، ويشهد به، ويتعبَّد، ولكن صدَّه عن العمل به متابعة قومه وعشيرته وهواه وإخلاده إلى الأرض، فكان هذا انسلاخاً من آيات الله تعالى.

وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين وأعظم، فإن الله أعطاهم آياته التي فيها الأمر بالتوحيد، ودعوته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك به ودعوة غيره، والأمر بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم، والاعتصام بحبل الله جميعاً، والكون مع المؤمنين، والأمر بمعاداة المشركين، وبغضهم وجهادهم وفراقهم والأمر بهدم الأوثان، وإزالة القحاب واللواط والمنكرات، وعرفوها وأقروا بها، ثم انسلخوا من ذلك كله، فهم أولى بالانسلاخ من آيات الله والكفر والردة من بلعام أو هم مثله.

<u>الدليل الثالث عشر: قوله تعالى: {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون}:</u>

فذكر تعالى أن الركون إلى الظلمة من الكفار والظالمين موجب لمسيس النار، ولم يفرق بين من خاف منهم وغيره إلا المكره، فكيف بمن اتخذ الركون إليهم ديناً ورأياً حسناً، وأعانهم بما قدر عليه من مال ورأي، وأحبَّ زوال التوحيد وأهله، واستيلاء أهل الشرك عليهم؟! فإن هذا أعظم الكفر والركون.

<u>الدليل الرابع عشر: قوله تعالى: {من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم. ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين}:</u>

فحكم تعالى حكماً لا يبدَّل أن من رجع عن دينه إلى الكفر، فهو كافر، سواء كان له عذر خوفاً على نفس أو مال أو أهل، أم لا، وسواء كفر بباطنه أم بظاهره دون باطنه، وسواء كفر بفعاله ومقاله، أو بأحدهما دون الآخر، وسواء كان طامعاً في دنيا ينالها

من المشركين أم لا، فهو كافر على كل حال إلا المكره، وهــو في لغتنا: المغصوب.

فإذا أكره الإنسان على الكفر وقيل له: اكفـر وإلا قتلنـاك أو ضـربناك، أو أخـذه المشـركون فضـربوه، ولم يمكنـه التخلص إلا بموافقتهم، جاز له موافقتهم في الظاهر، بشـرط أن يكـون قلبـه مطمئناً بالإيمان، أي ثابتاً عليه، معتقداً له.

فأما إن وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرهاً.

وظاهر كلام أحمد رحمه الله أنه في الصورة الأولى لا يكون مكرهاً حتى يعذّبه المشركون، فإنه لما دخل عليـه يحـيى بن معين وهو مريض، فسـلم عليـه فلم يـرد عليـه السـلام، فمـا زال يعتـذر ويقـول: (حـديث عمـار. وقـال اللـه تعـالى: {إلا من أكـره وقلبـه مطمئن بالإيمان})، فقلب أحمد وجهـه إلى الجـانب الآخـر، فقـال يحيى: (لا يقبل عذراً)، فلما خرج يحيى قـال أحمـد: (يحتج بحـديث عمار، وحديث عمار؛ مررت بهم وهم يسبونك فنهيتهم فضــربوني، وأنتم قيل لكم؛ نريد أن نضـربكم)، فقـال يحـيى: (واللـه مـا رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين الله تعالى منك).

ثم أخـبر تعـالى أن هـؤلاء المرتـدين الشـارحين صـدورهم بالكفر، وإن كانوا يقطعون على الحق ويقولـون: مـا فعلنـا هـذا إلا خوفاً، فعليهم غضب من الله ولهم عذابٌ عظيم.

ثم أخبر تعالى أن سـبب هـذا الكفـر والعـذاب ليس بسـبب الاعتقـاد للشـرك، أو الجهـل بالتوحيـد، أو البغض للـدين، أو محبـة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظـوظ الـدنيا، فـآثره على الدين وعلى رضى رب العالمين. فقال: {ذلك بأنهم اسـتحبوا الحيـاة الـدنيا على الآخـرة وأن اللـه لا يهـدي القـوم الكـافرين} فكفرهم تعالى، وأخبر أنـه لا يهـديهم مـع كـونهم يعتـذرون بمحبـة الدنيا، ثم أخبر تعـالى أن هـؤلاء المرتـدين لأجـل اسـتحباب الـدنيا على الآخـرة، هم الـذين طبـع على قلـوبهم وسـمعهم وأبصـارهم، وأنهم هم الغافلون. ثم أخبر خـبراً مؤكـداً محققـاً أنهم في الآخـرة هم الخاسرون.

<u>الـدليل الخـامس عشـر: قولـه تعـالى عن أهـل الكهف: {إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيـدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً}:</u>

فذكر تعالى عن أهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم إن قهــروكم وغلبــوكم، فهم بين أمــرين: إمــا أن يرجمــوكم، أي يقتلـوكم شـرَّ قتلـة بـالرجم، وإمـا أن يعيـدوكم في ملتهم ودينهم، {ولن تفلحــوا إذاً أبــداً} أي وإن وافقتمــوهم على دينهم بعــد أن غلبوكم وقهروكم، فلن تفلحوا إذاً أبداً، فهذا حـال من وافقهم بعـد أن غلبوه، فكيف بمن وافقهم وراسلهم من بعيد، وأجـابهم إلى مـا طلبوا من غير غلبة ولا إكراه، ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون؟.

الدليل السادس عشر: قوله تعـالى: {ومن النـاس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمـأن بـه وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلـك هو الخسران المبين}:

فأخبر تعـالى أن من النـاس من يعبـد اللـه على حـرف، أي على طرف {فإن أصابه خير} أي نصـر وعـز وصـحة وسـعة وأمن وعافية، ونحو ذلك {اطمأن به} أي ثبت وقال: هذا دين حسـن مـا رأينا فيه إلا خيراً {وإن أصابته فتنة} أي خوف ومرض وفقر ونحـو ذلــك {انقلب على وجهــه} أي ارتــد عن دينــه ورجــع إلى أهــل الشرك.

فهـذه الآيـة مطابقـة لحـال المنقلـبين عن دينهم في هـذه الفتنة، يعبدون الله على حرف، أي على طرف، ليسـوا ممن يعبـد الله على يقين وثبات، فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبـوا عن دينهم، وأظهـروا موافقـة المشـركين، وأعطـوهم الطاعـة، وخرجـوا عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشـركين، فهم معهم في الآخـرة، كمــا هم معهم في الــدنيا، فخســروا الــدنيا والآخــرة، ذلــك هــو الخسران المبين.

هذا مع أن كثيراً منهم في عافيـة، ما آتـاهم من عـدو، إنمـا ساء ظنهم بالله، فظنوا أنه يديل الباطل وأهله على الحـق وأهلـه، فـأرداهم سـوء ظنهم باللـه، كمـا قـال تعـالى فيمن ظن بـه ظن السـوء: {وذلكم ظنكم الـذي ظننتم بـربكم أرداكم فأصـبحتم من الخاسرين}.

وأنت يا من منَّ اللـه عليـه بالثبـات على الإسـلام، أحـذر أن يدخل في قلبك شيء من الريب، أو تحسين أمر هؤلاء المرتـدين، أو أن موافقتهم للمشركين وإظهار طاعتهم رأي حسن، حذراً على الأنفس والأمـوال والمحـارم، فـإن هـذه الشـبهه هي الـتي أوقعت كثـيراً من الأولين والآخـرين في الشـرك باللـه، ولم يعـذرهم اللـه بذلك، وإلا فكثير منهم يعرفون الحـق، ويعتقدونـه بقلـوبهم، وإنمـا يدينون بالشرك للأعذار الثمانيـة الـتي ذكرهـا اللـه في كتابـه، فلم يعذر بها أحـداً ولا ببعضـها، فقـال: {قـل إن كـان آبـاؤكم وأبنـاؤكم وإخــوانكم وأزواجكم وعشــيرتكم وأمــوال اقترفتموهــا وتجــارة تخشون كسادها ومسـاكن ترضـونها أحب إليكم من اللـه ورسـوله وجهاد في سبيله فتربصـوا حـتى يـأتي اللـه بـأمره واللـه لا يهـدي القوم الفاسقين}.

الــدليل الســابع عشــر: قولــه تعــالى: {إن الــذين ارتــدوا على أدبــارهم من بعــد مــا تــبين لهم الهــدى الشــيطان ســول لهم وأملى لهم * ذلــك بــأنهم قــالوا للـذين كرهـوا مـا نـزل اللـه سـنطيعكم في بعض الأمـر واللــه يعلم إســرارهم * فكيــف إذا تــوفتهم الملائكــة يضـربون وجـوههم وأدبـارهم * ذلـك بـأنهم اتبعـوا مـا أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم}:

فـذكر تعـالى عن المرتـدين على أدبـارهم أنهم من بعـد مـا تـبين لهم الهـدى ارتـدّوا على علم، ولم ينفعهم علمهم بـالحق مـع الردة، وغرَّهم الشيطان بتسـويله، وتـزيين مـا ارتكبـوا من الـردة، وهكـذا حـال هـؤلاء المرتـدين في هـذه الفتنـة، غـرهم الشـيطان، وأوهمهم أن الخـوف عـذر لهم في الـردة، وأنهم بمعرفـة الحـق ومحبته والشـهادة بـه لا يضـرهم مـا فعلـوه، ونسـوا أن كثـيراً من المشركين يعرفـون الحـق ويحبونـه ويشـهدون بـه، ولكن يـتركون متابعتـه والعمـل بـه محبـة للـدنيا، وخوفـاً على الأنفس والأمـوال، والمآكل والرئاسات.

ثم قال تعالى: {ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا مـا نـزل اللـه سنطيعكم في بعض الأمر} فأخبر تعالى أن سبب ما جــرى عليهم من الردة، وتسويل الشيطان، وإملائه لهم، هو قولهم للذين كرهوا مـا نـزَّل اللـه: {سـنطيعكم في بعض الأمـر} فـإذا كـان من وعـد المشركين الكارهين لما أنزل الله بطاعتهم في بعض الأمر كافراً، وإن لم يفعل ما وعدهم به، فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له، وترك عبـادة مـا سواه من الأنداد والطـواغيت والأمـوات، وأظهـر أنهم على هـدى، وأن أهـــل التوحيـــد مخطئـــون في قتـــالهم، وأن الصـــواب في مسالمتهم، والدخول في دينهم الباطل؟! فهـؤلاء أولى بـالردَّة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطـاعتهم في بعض الأمـر، ثم أخـبر عن حالهم الفظيع عند الموت، ثم قال: {ذلك} الأمر الفظيع عنـــد الوفـاة {بـأنهم اتبعـوا مـا أسـخط اللـه وكرهـوا رضـوانه فأحبـط أعمالهم}.

ولا يســتريب مســلم أن اتبــاع المشــركين، والــدخول في جملتهم، والشهادة أنهم على حـق، ومعـاونتهم على زوال التوحيـد وأهله، ونصره القباب والقحاب واللواط، من اتباع ما يسخط اللـه، وكراهة رضوانه، وإن ادعوا أن ذلك لأجل الخوف، فإن الله ما عذر أهل الردة بالخوف من المشركين، بل نهى عن خوفهم فـأين هـذا ممن يقول: ما جرى منَّا شيء ونحن على ديننا.

__الـدليل الثـامن عشـر: قولـه تعـالى: {ألم تـر إلى الذين نافقوا يقولون لإخـوانهم الـذين كفـروا من أهـل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحــداً أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون}:__

فعقـد تعـالى الأخـوة بين المنـافقين والكفـار، وأخـبر أنهم يقولـون لهم في السـر: {لئن أخــرجتم لنخــرجن معكم} أي لئن غلبكم محمــد صــلى اللــه عليــه وســلم وأخــرجكم من بلادكم {لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبـداً}؛ أي لا نسـمع من أحـد فيكم قولاً، ولا نعطي فيكم طاعـة. {وإن قـوتلتم لننصـرنكم}؛ أي إن قاتلكم محمد صلى الله عليه وسـلم لننصـرنكم ونكـون معكم، ثم شـهد تعـالى أنهم كـاذبون في هـذا القـول، فـإذا كـان وعـد المشركين في السر بالدخول معهم ونصـرهم، والخـروج معهم إن اجلوا، نفاقاً وكفراً وإن كان كذباً، فكيـف بمن أظهـر ذلـك صـادقاً، وقدم عليهم، ودخل في طاعتهم، ودعا إليها، ونصرهم وانقـاد لهم،

وصار من جملتهم، وأعانهم بالمال والرأي، هـذا مـع أن المنـافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفاً من الدوائر، كما قال تعالى: {فترى الـذين في قلـوبهم مـرض يسـارعون فيهم يقولـون نخشـى أن تصـيبنا دائرة..} فكذا حال كثير من المرتدين في هـذه الفتنـة، فـإن عـذر كثير منهم هو هذا العـذر الـذي ذكـره اللـه عن الـذين في قلـوبهم مرض ولم يعذرهم به.

قال الله تعـالى: {فعسـى اللـه أن يـأتي بـالفتح أو أمـر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين * ويقـول الـذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهـد أيمـانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين}، ثم قال تعالى: {يا أيهـا الـذين آمنـوا من يرتد منكم عن دينـه فسـوف يـأتي اللـه بقـوم يحبهم ويحبونـه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين}، فأخبر تعـالى أنـه لا بـد عند وجـود المرتـدين من وجـود المحـبين المحبـوبين المجاهـدين، ووصفهم بالذلة والتواضع للمؤمنين، والعزة والغلظة والشدة على الكافرين، بضد من كان تواضعه وذلـه ولينـه لعبـاد القبـاب، وأهـل القحـاب واللـواط، وعزتـه وغلظتـه على أهـل التوحيـد والإخلاص، فكفى بهذا دليلاً على كفر من وافقهم وإن ادعى أنـه خـائف، فقـد قال تعالى: {ولا يخافون لومة لائم} وهذا بضـد من يـترك الصـدق والجهاد خوفاً من المشركين، ثم قال تعالى: {يجاهدون في سبيل الله} أي في توحيده، صابرين على ذلـك ابتغـاء وجـه ربهم لتكـون كلمة الله هي العليـا، ولا يخـافون لومـة لائم، أي لا يبـالون بمن لا مهم وآذاهم في دينهم، بل يمضون على دينهم، يجاهدون فيـه غـير ملتفتين للوم أحد من الخلق ولا لسـخطه ولا لرضـاه، إنمـا همتهم وغاية مطلوبهم رضى سيدهم ومعبودهم، والهرب من سخطه.

وهـذا بخلاف من كـانت همتـه وغايـة مطلوبـه رضـى عبّـاد القباب، وأهل القحاب واللواط ورجائهم، والهرب ممـا يسـخطهم، فإن هذا غاية الضلال والخذلان.

ثم قال تعالى: {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسـع عليم}، فـأخبر تعـالى أن هـذا الخـير العظيم، والصـفات الحميـدة لأهل الإيمان الثابتين على دينهم عند وقوع الفتن، ليس بحولهم ولا بقـوتهم، وإنمـا هـو فضـل اللـه يؤتيـه من يشـاء واللـه ذو الفضـل العظيم، ثم قال: {إنمـا وليكم اللـه ورسـوله والـذين آمنـوا الـذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون}، فـأخبر تعـالى خـبراً بمعنى الأمر بولاية الله ورسوله والمؤمـنين وفي ضـمنه النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين.

ولا يخفى أي الحزبين أقرب إلى الله ورسوله وإقام الصـلاة وإيتاء الزكـاة. فـالمتولي لضـدهم، واضـع للولايـة في غـير محلهـا، مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين المقيمين للصـلاة المـؤتين للزكاة ولايـة أهـل الشـرك والأوثـان والقبـاب. ثم أخـبر تعـالى أن الغلبة لحزبه ولمن تولاهم: {ومن يتول الله ورسوله والذين آمنــوا فإن حزب الله هم الغالبون}.

الدليل التاسع عشر: قوله تعالى: {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أوعشيرتهم}:

فأخبر تعالى أنك لا تجد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، وأن هذا منافٍ للإيمان، مضاد له، لا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار.

وقد قال تعالى في موضع آخر: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون}، ففي هاتين الآيتين البيان الواضح أنه لا عذر لأحد في الموافقة على الكفر خوفاً على الأموال والآباء والأبناء والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس، إذا كان لم يرخص لأحد في موادتهم، واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفاً منهم، وإيثاراً لمرضاتهم، فكيف بمن اتخذ الكفار الأباعد أولياء وأصحاباً، وأظهر لهم الموافقة على دينهم خوفاً على بعض هذه الأمور ومحبة لها؟! ومن العجب استحسانهم لذلك واستحلالهم له، فجمعوا مع الردة استحلال الحرام.

الدليل العشرون: قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل}:

فأخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وإن كانوا أقرباء، فقد ضل سواء السبيل، أي أخطأ الصراط المستقيم، وخرج عنه إلى الضلالة.

فأين هذا ممن يدَّعي أنه على الصراط المستقيم، لم يخرج عنه؟ فإن هذا تكذيب لله، ومن كذّب الله فهو كافر، واستحلال لما حرم الله من ولاية الكفار، ومن استحلّ محرَّماً فهو كافر.

ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالأرحام والأولاد فقال: {لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير} فلم يعذر تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد والخوف عليها ومشقة مفارقتها، بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة، ولا تغني من عذاب الله شيئاً، كما قال في الآية الأخرى: {فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون}.

الدليل الحادي والعشرون: من السنة ما رواه أبو داود وغيره، عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من جامع المشرك وسكن معه، فإنه مثله):

فجعل صلى اللـه عليـه وسـلم في هـذا الحـديث من جـامع المشركين، أي اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم مثلهم، فكيـف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم؟! فإن قـالوا: خفنا، قيل لهم: كذبتم.

وأيضاً فليس الخوف بعـذر، كمـا قـال تعـالى: {ومن النـاس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في اللـه جعـل فتنـة النـاس كعـذاب اللـه} فلم يعـذر تبـارك وتعـالى من يرجـع عن دينـه عنـد الأذى والخوف، فكيف بمن لم يصـبه أذى ولا خـوف؟! وإنمـا جـاؤوا إلى الباطل محبة له وخوفاً من الدائرة.

والأدلة على هذا كثيرة وفي هذا كفاية لمن أراد الله هدايته.

وأمـا من أراد اللـه فتنتـه وضـلالته، فكمـا قـال تعـالى: {إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم}.

ونسأل الله الكريم المنان أن يحيينـا مسـلمين، وأن يتوفانـا مسلمين، وأن يلحقنا بالصالحين، غير خزايـا ولا مفتـونين، برحمتـه وهو أرحم الراحمين.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم
آمين